يدفع بجيشه، ولن يهاجم الكويت' ، في حين نسي، أو تناسى، ان يبلغه ما تبقّى من الحديث، أي ' ما دامت المفاوضات بين العراق والكويت جارية' . كذلك نقل مبارك الرسالة المنقوصة نفسها الى واشنطن» (ص ٦٤ ـ ٦٥). فحتى بعد سيطرة القوات العراقية على الكويت، كان العراق مستعداً للانسحاب منها، كما أورد الكاتبان. ففي لقاء الملك الاردني حسين مع الرئيس العراقي صدام حسين، في ٤/٨/١٩٩٠، سأل الملك الاردني: «هل ستترك الكويت؟ ـ نعم، اذا حُلّت الخلافات بيني وبين الامارة» (ص ١٣٥). وذكر الكاتبان: «لقد اكدت لنا شخصيات عراقية، رفيعة المستوى، ان الرئيس العراقي، خلال محادثاته مع الملك حسين، قبل الذهاب الى جدّة في ٤ آب [اغسطس]، وقبل التفاوض مع الملك فهد، وقد أبلغ [الى] الملك الاردني قبوله الانسحاب من الكويت، اذا أثمرت المفاوضات» (ص ١٤١). وكان الملك حسين طرح فكرة عقد قمّة مصغّرة في جدّة للبحث في القضايا المختلف عليها بين العراق والكويت وايجاد حلول لها توفّر الشروط لانسحاب القوات العراقية من الكويت.

هل كان ما حدث في منطقة الخليج فخّاً اميركياً؟ وهل تلقّى الرئيس العراقي ضوءاً أخضر من الولايات المتحدة الاميركية لاحتلال الكويت؟ تشي المقاطع التي اقتبسها الكاتبان بالأمرين معاً. كتبا: «لقد اتخذت التقارير الموضوعة من قبل الادارة الاميركية، والمتعلّقة بالزعيم العراقي، عدة اتجاهات، وتركّزت حول ثلاثة محاور رئيسة: قدرته وإرادته في ان يصبح زعيم العالم العربي دون منازع؛ رغبته الشديدة في التماهي بجمال عبدالناصر وانبهاره بالهالة التي أحاطت بزعيم مصر السابق؛ تقاربه مع الغرب. وهذه النقطة الاخيرة كانت، برأي [جون] كيلي مساعد وزير الخارجية الاميركية لشؤون الشرق الاوسط وخبراء الادارة الاميركية، هي الحاسمة والأكثر أهمية... [فـ] العراق الذي خرج من المعركة لم يكن، في تاريخه الحديث، أكثر قرباً من الغرب. فاقتصاده أصبح مرتبطاً بالبلدان الاوروبية أكثر من ارتباطه بالاتحاد السوفياتي... وقد أدّت مختلف هذه الوقائع بالاميركيين الى اعتبار العراق عامل استقرار وقوة في المنطقة والى المراهنة عليه» (ص ١٠). وحين استقبل الرئيس صدام حسين مساعد وزير الخارجية الاميركية، كيلي، في ١٢/٢/١٩٩٠، وكانت تلك هي المقابلة الاولى مع أحد الرسميين الاميركيين منذ زمن بعيد، بادر كيلي الى القول: «أنتم قوّة اعتدال في المنطقة، وتتمنّى الولايات المتحدة [الاميركية] اقامة أوثق العلاقات مع العراق» (ص ١١). ورأى الكاتبان ان أقوال كيلي هذه كانت «الرسالة الاولى، بين سلسلة طويلة من الرسائل المبهمة والمتناقضة، والتي سوف تكون نتائجها شديدة الوطأة والتأثير» (ص ١١). وذكر الكاتبان ان شخصية اوروبية زارت واشنطن، في شهر حزيران (يونيو) ١٩٩٠، وقدّمت التقويم التالي للحالة العراقية: «لا أحد يعتبر هذه الدولة مصدراً للخطر والتهديد؛ فالكل ينظر اليها على انها سوق هامّ للمنتجات الاميركية، وأحد البلدان القلائل، حيث ما زالت التكنولوجيا الاميركية تتمتّع [فيها] بقدرة تنافسية تصل الى حدّ التفوّق على التكنولوجيا اليابانية» (ص ٥٣)، وذلك على الرغم من ان صدّام حسين كان ألقى خطاباً في قواته، في ٢/٤/١٩٩٠، وردت فيه جمل «أصابت العالم بالذهول»، حيث قال: «بعون الله، اذا حاولت اسرائيل أي شيء ضد العراق، سوف نعمل على جعل النار تلتهم نصفها... أمّا الذين يهدّدوننا بالقنبلة النووية، فسوف نقضي عليهم بواسطة السلاح الكيميائي» (ص ٣٥). وأضاف الكاتبان، ان الرئيس صدام حسين «لم يتلقّ... أي تحذير رسمي أميركي؛ [بل] على العكس من ذلك تماماً، لقد تلقّى عدداً من مبادرات التشجيع التي ساهمت في جعل الموقف الاميركي أكثر غموضاً وتشويشاً» (ص ٣٨). وأوردا، على سبيل المثال، ما دار في لقاء الرئيس صدام حسين مع وفد من أعضاء مجلس الشيوخ الاميركي، برئاسة زعيم الأقلية الجمهورية السيناتور روبرت دول، في ١٢/٤/١٩٩٠، في بغداد. قال دول، كما نقل الكاتبان: « ' ان تصريحاتكم الاخيرة التي تهدّد باستخدام السلاح الكيميائي ضد اسرائيل أحدثت صدمة قوية في العالم أجمع؛ ومن الأجدى، بالنسبة اليكم وللسلام في الشرق الاوسط، ان تتراجعوا عن برامج ومشاريع شديدة الخطورة، وعن تصريحات ومواقف مشبعة بالاستفزاز' ... ردّ صدام: ' أنا اعتقد بوجود حملة واسعة ومنسّقة ضدّنا بواسطة الولايات المتحدة الاميركية' ؛ أجاب دول على الفور: ' على جميع الأحوال، ليس جورج بوش مصدر هذه الحملة. لقد قال لنا البارحة انه لا يؤيدها' ... وختم دول حديثه بقوله: ' صرّح لي الرئيس بوش، منذ ١٢ ساعة فقط، بأنه يبحث عن أفضل العلاقات معكم، وان حكومته تفتّش عن أمتن الروابط مع العراق؛ وأستطيع التأكيد ان الرئيس بوش سوف يعارض فرض